بسم الله الرحمن الرحيم

تطبيقات الوقف العلمی فی التاريخ الاسلامی- موسسات و علماء

د/جواد الجوهری
(جامعة آکسفورد بروکس-انکلترا)

الملخص

ان الموضوع يتناول قضية الوقف من خلال المصاديق التاريخية التی تعد نماذج لامعة لما يترتب علی هذا التعليم الاسلامی من ثمرات ليست للحضارة الاسلامية فحسب بل للحضارة الانسانية کلها. فان الورقة سوف تتضمن مقتضبات من تاريخ انجح الموسسات التی تم تاسيسها من خلال الموارد الوقفية کالمدرسة النظامية وسير المع العلماء المفلقين کالامام الغزالی الذين لو لم تکن المعونات الوقفية ما کان بمقدورهم بلوغ ما نالوه من المستويات العلمية العليا وما قدموه من عطاء متواصل لامتهم و للانسانية. ثم ان الورقة ستتطرق الی ما کانت تلک الموسسات العلمية تتميز بها من خصوصيات تجعلها قادرة علی تخريج دفعات من العلماء الذين وظفوا علمهم و خبرتهم لاداء ما کان عليهم من مسوليات ليس فقط لکونهم علماء بل لکونهم مدينين لمن کانوا قد ابتغوا وجه الله سبحانه و تعالی من خلال وقفهم لاموالهم و ممتلکاتهم. وبناءا علی ما يقدم من معلومات فيما سلف فانه سوف نخلص الی الاشارة الی الموسسات التعليمية التی يتم احداثها من خلال الوقف فی العالم المعاصر.

اما بعد فان موضوع الوقف العلمى يسرتي اهميته بكلا جزئى الاضافة فى هذ التركيب و هما الوقف و العلم. ولما كان العلم ضروريا فى تمشية الحياة الدنيوية و الاخروية فان تعلمه و تعليمه كذلك لمن يتاتي له الامر ضروريان. و اما التّعلّم فطلب العلم والمَعرفة، والتعليم إيصالُ العِلم والمعرفة وبذلُها للآخرين. و العِلم لا يحده حد فى الاسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الإسراء:85]. و اما مَن أمعنَ النظرَ و دقق التفكير وهو متتبِّع للأسبابَ في الكونِ فان الله لا محالة دلّه على شيئ من أسرار خلقِه، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق:5]، وقال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[فصلت:53]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾[الزخرف:48]. و من ثم فان كلَّ علمٍ نافع فهو مطلوب شرعًا. و كان الرّسول ﷺ أوّلَ من سعَى لنشر العلم حين جعَل فداءَ أسرى بدرٍ أن يعلِّم كلٌّ منهم عشرةً من المسلمين القراءةَ والكتابة. و لقد خلف الرسول ﷺ من احسنوا فى الاخذ بسيرته فى العمل المستمر فى نشر العلم فصارتِ التربية والتعليم في الواقعِ التاريخيّ للأمّة وسيلةَ هدايةٍ وطريقةَ خير للفردِ والمجتمع والنّاس أجمعين و الامة تستلهم العمل من الرّسول ﷺ، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[الجمعة:2].

و على هذا الاساس فميدانُ التربية والتعليمِ من أهمِّ الميادين لدى المسلمين و أثرُه كبير في تنشِئَةِ الأجيال الذين هم قاعِدةُ بناءِ المجتمعات والدّوَل، ولما كان التّغيير في المجتمعاتِ والأمم يسيرُ حسب سنّةٍ لا تتبدّل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:11] فإنّ ميدانَ التغيير التربيةُ والتّعليم، وجيلُ المتعلِّمين اليومَ هم قادةُ مجتمَع الجيل القادم.[1]

[1] التربية والتزكية، عبد الباري بن عوض الثبيتي، خطبة فى المسجد النبوي، المدينة المنورة، 3/8/1425

د/جواد الجوهرى
(جامعة آكسفورد بروكس-انكلترا)

نظام الملك

هذه القاعدة الفكرية شكلت اساسا من اسس التفكير السياسى و الاصلاحى لدى من اهمهم الامر من ولاة المسلمين و من منهم خلصت عنده النية لاصلاح الامة و المضى قدما فى القضاء على البدع و الفتن قد التجا الى هذا التراث الاسلامى النقى و هو التسيس لنشر العلم مستعينا بادواة و ووسائل اتاحتها الشريعة الاسلامية و من اهمها الوقف لما له من ميزات توهله ان تكون من خير المصادر فى هذ الصدد. و اما من قاموا بمهمة توفير العون الازم و المستحق من اولى الامر و غيرهم من اصحاب الخير فلا يحد عددهم و لكن ثلة من هولاء برزوا فى التاريخ لما كان لعملهم من اثر ممتد و ديومة و منهم نظام الملك الذى قال عنه الذهبي: الوزير الكبير، نظام الملك، قوام الدين، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، عاقل، سائس، خبير سعيد متدين، محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء، أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس، ورغب في العلم وأدر على الطلبة الصلات، وأملى الحديث، وبعد صيته . تنقلت به الأحوال إلى أن وزر للسلطان ألب أرسلان، ثم لابنه ملكشاه، فدبر ممالكه على أتم ما ينبغي، وخفف المظالم، ورفق بالرعايا، وبنى الوقوف، وهاجرت الكبار إلى جانبه ، وأشار إلى ملكشاه بتعيين القواد والأمراء الذين فيهم خلق ودين وشجاعة, وظهرت آثار تلك السياسة فيما بعد، ومن هؤلاء القواد الذين وقع عليهم الاختيار آق سنقر جد نور الدين محمود، الذي ولي على حلب وديار بكر، والجزيرة، كما قال عنه ابن كثير: من أحسن الملوك سيرة وأجودهم سريرة ، وقام ولده عماد الدين زنكي ببداية الجهاد ضد الصليبيين، ثم قام من بعده نور الدين محمود، هذه الأسرة هي التي وضعت الأساس لانتصارات صلاح الدين والظاهر بيبرس وقلاوون ضد الصليبيين، وافتتحت عهد التوحيد والوحدة في العالم الإسلامي ، وكذلك كان آق سنقر البرسقي من قواد السلطان محمود السلجوقي، وكان أميراً للموصل، واشتغل بجهاد الصليبيين، وفي سنة 520هـ قتله الباطنيون وهو يصلي في الجامع الكبير في الموصل, و اضاف ابن الأثير: وكان مملوكاً تركياً

خيراً، يحب أهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله، وكان خير الولاة، يحافظ على الصلوات في أوقاتها، ويصلي من الليل متهجداً... كما ان المؤرخ ابا شامة يذكر عن آثار السلاجقة لا سيما في زمن نظام الملك انه لما ملك السلجوقية جددوا من هيبة الخلافة ما كان قد درس لاسيما في وزارة نظام الملك، فإنه أعاد الناموس والهيبة إلى أحسن حالاتها.[2]

المدارس النظامية

و المعروف ان نظام الملك أول من أنشأ المدارس المنظمة الكبيرة ـ كما ذكرنا ـ، ويعزو الكثير ان اغتياله في ظروف غامضة وأليمة من قبل الباطنيين كان بسبب عمله الموثر فى مكافحة البدع و لكن هذا لم يكن نهاية للمدارس النظامية و لم يتوقف العمل بها تماماً و مما ضاع على الباحثين الوثيقة المهمة التي كتبت فيها وقفية نظام الملك على مدارسه . لقد ورد ذكر هذه الوثيقة في عدة مراجع ، ولكن الباحثين قديماً وحديثاً لم يستطيعوا أن يحصلوا عليها أو على نصها الا ان هناك من المصادر ما يمدنا في هذا الموضوع بمعلومات إن لم تكن كاملة فهي قريبة بعض الشيء من الكمال . يقول سبط الجوزي في كتابه : "وفيها (أي في سنة 462 هـ) أوقف نظام الملك الأوقاف على النظامية ، وحضر الوزير والقضاة والعدول بيت النوبة ، وكتبوا الكتب وسجلت ، ومما وقف:سوق المدرسة ، وضياع ، وأماكن ، وشرط نظام الملك الشروط المعروفة" [3].

ويذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الأمم والملوك عن حوادث نفس السنة (462 هـ) : "إنه في يوم الأثنين 26 من جمادى الآخرة جمع العميد أبو نصر الوجوه ، فأحضر أبا القاسم ابن الوزير فخر الدولة والنقيبين والأشراف ، وقاضي القضاة والشهود إلى المدرسة النظامية وقرئت

---

[2]-عهد "نظام الملك" في دولة السلاجقة، د. علي محمد الصلابي، النوافذ 04ديسمبر 2007

[3]مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي)، دار الشروق، 2-121

كتب وقفيتها ، ووقف الكتب فيها ، فكان من الوقف ضياع وأملاك وسوق أقيمت على بابه" [4] . واما الرحالة ابن جبير يكتب في رحلته انه رأى ببغداد نحواً من ثلاثين مدرسة ، ويقول :" إنه ما فيها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها ، وأعظمها وأشهرها النظامية التي بناها نظام الملك ، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة ، وعقارات واسعة للإنفاق على الفقهاء والمدرسين بها ، وللإجراء على الطلبة " [5] . و أما ما خصص من الميزانية لرعاية الشئون التربوية العامة وكذلك ريع الأوقاف المعينة للمدارس ، فإن المراجع المتاحة لنا توافينا بتفصيلات مفيدة ونافعة منها الآتي :

كان نظام الملك ينفق في السنة الواحدة على التعليم ما يقدر بـ (600000) دينار[6]. أما الريع الذي كانت تنتجه الأوقاف المخصصة لنظامية بغداد ، فقد ورد أنه كان 15000 دينار في العام الواحد [7] . ان ذلك الريع كان كافياً لمرتبات الشيوخ ولما يدفع للطلبة ، وكان يشمل مؤونة طعامهم وملابسهم وفرشهم وغير ذلك من ضرورات معاشهم حتى نبغ فيها جمع من الفقهاء الأفاضل ممن لا يحصون عدداً[8]. أما أوقاف نظام الملك على نظامية أصفهان فقد بلغت 10000 دينار سنوياً[9] .

---

[4] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / 6-7-8-9-10، أبو الفرج الجوري ، دار صادر للطباعة والنشر، 8 / 256

[5] رحلة ابن حبير / أبو الحسن محمد بن أحمد؛ تقديم سليم بابا عمر .- موفم للنشر، 239

[6] . ، المدرسة المستنصرية ، ناجي معروف، بغداد، 8

[7] الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، الشيخ محمد عبده، الطبعة الثالثة ، 98

[8] تاريخ مساجد بغداد وآثارها، محمود شكري الآلوسي ، 1924، 102

[9] مدرسه نظاميه، سعيد نفيسى، انتشارات امير كبير، 3

انه مما يستحق الذ كر ها هنا أن من أوفى التراجم التي كتبت عن الوزير نظام الملك ما اورده السبكي في كتابه " طبقات الشافعية". ان اسلوب السبكى إسلوب رائع مصورا نظام الملك على أنه من أعظم المصلحين الاجتماعيين في تاريخ الإسلام ، وأن شخصيته من أقوى الشخصيات التاريخية. فالباحث عما تحقق على يدى نظام الملك فى توظيف الوقف احسن التوظيف فى خدمة مصالح المسلمين العليا يمكنه الرجوع الى كتابات السبكي ، وكذلك عماد الدين الأصفهاني ، وابن الأثير ، وابن خلكان ، وابن الجوزي .

المدرسة المسنصرية ببغداد

ان من احسن نماذج الوقف العلمى فى التاريخ الاسلامى هو ما قد تم استخدامه فى تشييد المدرسة المسنصرية الرائعة ببغداد. ان بغداد عرفت بكثرة مدارسها عبر العصور الإسلامية ومنها مدرسة أبي حنيفة ، والمدرسة النظامية كما ان بغداد تكاثرت فيها خزائن الكتب، وحوانيت الوراقين، ودكاكين الكتب والمكتبات.[10]

ان مما لا يرتاب فيه ان من أشهر هذه المدارس المدرسة المستنصرية التي تُعد مدرسة علمية جامعة و عظيمة أقيمت في بغداد في أواخر الدولة العباسية، كما انها تعتبر أول جامعة إسلامية نظمت على غرار المدرسة النظامية اذ انها جمعت فيها الدراسات الفقهية إلى جانب المذاهب الإسلامية الأربعة في بناية واحدة ؛ كما درست فيها علوم القرآن والدين واللغة والطب والرياضيات ؛ وجهزت بالأقسام الداخلية والمطابخ والحمامات، وألحقت بها دار كتب ضخمة ومستشفى للتطبيب والتدريس . وشاء لها القدر أن تظل الأثر الوحيد الذي بقيت قائمة حتى يومنا هذا.[11]

---

[10] التربية والتعليم ، د. معروف بشار عواد ، حضارة العراق، ج 8 ص 7

[11] من روائع أوقاف المسلمين المدرسة المستنصرية باب : مقالات الكاتب :عيسى القدومى ، موقع عيسى القدومى

قال ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث ستة إحدى وثلاثين وستمائة: " فيها كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يُبنَ مدرسة قبلها مثلها، ووقفت على المذاهب الأربعة ، من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً، وأربعة معيدين ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث، وقارئان وعشرة مستمعين، وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب الأيتام، وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد. ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلها في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة بها ".[12]

و قد قرن اسم الخليفة المستنصر بالله العباسي الذى قام ببنائها سنة 625هـ على الجانب الشرقي لنهر دجلة بين جامع الأصفية والخفافين باسم المدرسة و من ثم جاء في ترجمته فى سير اعلام النبلاء: "امير المؤمنين أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله حسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي العباسي البغدادي واقف المستنصرية التي لا نظير لها".[13]

اما الذهبى فيضيف بان الخليفة "أوقف للمدرسة أوقافاً عديدة ، وجعل عليها نظاراً أكفاء ، حتى بلغ مغل وقف المستنصرية نيفا وسبعين ألف دينار فى العام"[14] حتى يتفرغ القائمون عليها والملتحقون بها للدراسة والتحصيل، لا تشغلهم أعباء الحياة عن مواصلة البحث ولا يلههم التفكير في لقمة العيش عن متابعة التحصيل، فقد خصص لنظارها وشيوخها ومدرسيها ومعيديها وأطبائها وطلابها وكل العاملين بها ما يكفيهم من الطعام والشراب والنفقات، ورتّب لهم البيوت والمساكن، وكانت الأطعمة توزع يوميا مطبوخة على

[12] البداية والنهاية ، ابن كثير ، حوادث سنة إحدى وثلاثين وستمائة، دار الكتب العلمية

[13] سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 123-156

[14] نفس المصدر

طلابها المثبتين في المدرسة، بالإضافة إلى ما كان يجهز لهم من الحصر والسراج والزيت والورق والحبر والأقلام، وكان يقدم لهم في الصيف الماء البارد وفي الشتاء الماء الساخن، وكان رجال الإدارة والتدريس يوزع عليهم كميات كبيرة من الخبز واللحم والخضراوات التي تكفيهم وتكفي ضيوفهم، بالإضافة إلى ما كانوا ينالونه من هبات وعطايا.[15]

وكانت الأراضي والضياع التي أوقفت على المدرسة تدر دخلا يكفي للنهوض بها والقيام برسالتها، حتى قيل إن قيمة ما وقف عليها يساوي ألف ألف دينار، وإن واردات هذه الأوقاف بلغت نيفا وسبعين ألف مثقال من الذهب في السنة، وكان القائمون على وقف المستنصرية يتقاضون في كل شهر مرتبات نقدية من الدنانير الذهبية تختلف باختلاف منازلهم وأقدارهم.[16] ويبلغ طول المدرسة 105م وعرضها من الجهة الشمالية الغربية 44.30م وتتسع من الجهة الجنوبية فيكون عرضها 48.80م وبلغ ما أنفقه عليها 700 ألف دينار، وافتتحت للدراسة في 5 من رجب 631 هـ أي قبل إتمام مرافقها بسنتين، وكان هذا التاريخ بداية التدريس فيها. واشترط أن يكون في المدرسة طبيب مرخص يشتغل معه عشرة أشخاص يجيدون مهنة الطب، وأن يعطى لهم من الجرايات مثلما يعطى لغيرهم من العاملين في هذه المدرسة، وتعطى للمريض ما يوصف له من أدوية وأشربة من صيدلية المدرسة.

من المباني المهمة التابعة للمدرسة دار القرآن التي ذكرها ابن الفوطي، فأشار إلى أن المستنصر اشترط أن يكون في هذا الدار ثلاثون صبياً من الأيتام يتلقون القرآن من قبل مقرئ متقن صالح، ولهم من المصروفات والتعهدات ما للمشتغلين في المدرسة بعلم الحديث. وظلت المدرسة تؤدي واجبها التعليمي سنين طويلة،

[15] **المستنصرية**.. أقدم جامعة إسلامية، أحمد تمام، موقع إسلام أون لاين

[16] نفس المصدر

وتولى التدريس فيها فطاحل المدرسين من كبار العلماء والأدباء، وأدت رسالتها الثقافية بصورة مرضية بالرغم من وفاة مؤسسها المستنصر بالله سنة (640هـ/1242م)، حيث رعاها من بعده الخليفة العباسي المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس.[17]

جامعة القرويين

ان جامعة القرويين العريقة التى لا تفتئ قائمة بقوة و كرامة جاءت الى الوجود نتيجة لنية صالحة ترجرجت فى قلب سيدة مومنة لم تكن من طبقة الحكام و لكن الله كان قد اكرمها بقلب سليم و عقل سديد و ايمان صاف و هى السيدة فاطمة الفهرى. انها كانت فاطمة بنت محمد الفهري ، المكناة بأم البنين ، والمعروفة بأم البنين الفهرية. نزحت وهي فتاة صغيرة مع العرب النازحين إلي أقصي المغرب ونزلت مع أهل بيتها في عدوة القرويين فى ايام حكم إدريس الثاني الى ان تزوجت وطاب لها المقام هناك.

انعم الله على اهلها وزوجها بثراء من مال حلال بعد كد وتعب واجتهاد وعمل ، ولم يمض زمن طويل حتي توفى زوجها ثم مات أخ له فورثت عنها مالاً كثيراً شاركتها فيه أخت لها هي مريم بنت محمد الفهري التي كانت تكنى بأم القاسم.

وقد قاد التفكير الملى أم البنين الى الاستعانة فى امرها باستثمار هذا المال استثماراً حقيقياً يخدم الناس و يرضى الرب – تعالى- فانبعث في ضميرها المؤمن الحي الذي بني علي دعائم إسلامية خالصة لما تميزت به صاحبته من زهد وتقوي وورع ان يتمسك بالوقف وعقدت العزم علي بناء مسجد يكون ذخراً لها بعد موتها وصلة ببنيها مع أهل الدنيا وليظل عملها بعد موتها مستمراً.

و هكذا بدأت فاطمة بنت محمد الفهري في اتخاذ الخطوات الأولي في البناء واشترت أرضاً بيضاء بالقرب من

---

[17] بغداد تاريخ وحضارة، الدكتور حسين امين، الحلقة الثالثة ،المدارس التراثية ببغداد : المدرسة النظامية، المجمع العلمي ـ العراق

منزلها بالقرويين ودفعت لصاحبها بسخاء و شرعت في البناء و اتخذت قرارا علي ألا تأخذ تراباً أو مواد بناء من غير الأرض التي اشترتها بحر مالها ، وطلبت من عمال البناء أن يحفروا حتي أعماق الأرض المزمع إقامة البناء عليها فأخذوا يستخرجون من أعماقها الرمل الأصفر الجديد والأحجار والجص ليستخدموه في البناء ، وهي بذلك تهدف إلي عدم وجود أي شبهة تشوب مشروع تشييد البناء في المسجد. و مما ينقل عنها انها ومع أول أيام البناء أصرت علي بدء الصوم ، ونذرت ألا تفطر يوماً حتي ينتهي العمل فيه.

بدأ الحفر في صحنه لإنشاء بئر من أجل شرب البنائين ولاستخدام الماء أيضاً في أعمال البناء ثم عمدت بعد ذلك في حفر بناء أساس وجدران المسجد وقامت بنفسها بالإشراف على أعمال الأساسات والبناء فجاء المسجد فسيح الأرجاء محكم البناء و انتهي العمل وتم البناء فى أول رمضان سنة 245 من الهجرة فصلت فاطمة صلاة شكر لربها على فضله ورزقه وفيض عطائه الذي وفقها لبناء هذا الصرح الذي عرف بمسجد القرويين. ولا يزال جامع القرويين إلي جوار جامع الأندلس الذى اسسته اخت فاطمة يؤديان الدور المنوط بهما في نشر الاسلام والعلوم.

ان بعض المؤرخين يعتبر هذا الجامع أول جامعة عربية إسلامية في البلاد المراكشية ، وبذلك تكون السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني المعروفة بأم البنين الفهرية هي مؤسسة أو جامعة عربية إسلامية في هذه البلاد.[18]

المعلوم ان المدارس القديمة التى لعبت دور الجامعات الحديثة و التى استطاعت ان تجد طريقها الى الوجود و الاستمرار من خلال الوقف غير مصورة عددا و اطلاقا فيما سلف ذكره و انما هناك مدارس وقفية اخرى ظهرت فى التاريخ الاسلامى و قد قدر لبعضها البقاء الى يومنا هذا بصورة او اخرى ومن أشهر المدارس الوقفية في الدول الإسلامية:

---

[18] نساء عربيات ،فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني، احمد عبده العباسى، كلمات

1-المدرسة الظاهرية: التي أنشأها الظاهر بيبرس في القاهرة سنة 626هـ وأوقف عليها المال وأغدق عليها، مما جعلها أجمل مدرسة في مصر.

2-المدرسة الصالحية بمصر: وقد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 644هـ، وأوقف عليها أموالا ضخمة.

3-المدرسة المسعودية ببغداد: بناها مسعود الشافعي، وجعلها وقفا على المذاهب الأربعة بجانب تدريس العلوم والطب.

4-المدرسة الصلاحية بحلب: أوقفها الأمير صلاح الدين يوسف الدودار.

5-المدرسة الغياثية: أو مدرسة الملك المنصور بمكة المكرمة، بناها المنصور غياث الدين سنة 813هـ، وأوقف عليها أموالا كثيرة.

5-المدارس الأربعة بمكة المكرمة:التي بناها السلطان سليمان سنة 927هـ وأوقف عليها أموالا طائلة لتدريس المذاهب الأربعة.

وهناك مدارس وقفية عديدة يصعب حصرها مثل مدرسة السلطان حسن، والجامع الأزهر بمصر، والزيتونة بتونس و غيرها كثيرة.

وقد كثرت المدارس الوقفية وخاصة في المشرق كثرة هائلة، حتى أن ابن جبير الرحالة الأندلسي هاله ما رأى في المشرق من كثرة المدارس والغلات الوافرة التي تغله أوقافها. فدعا المغاربة أن يرحلوا للمشرق لتلقي العلم.[19]

يتضح من هذا كله أن الأموال الموقوفة كانت من اهم الأسباب والعوامل في تنشيط الحركة العلمية، ونشر التعليم، والارتقاء بالمستوى الثقافي ومكافحة الأمية، وبناء الحضارة الإنسانية الإسلامية وقد تربى في أحضان

[19]الأوقاف في العصر الحديث ، كيف نوجهها لدعم الجامعات وتنمية مواردها (دراسة فقهية)، د/ خالد بن علي بن محمد المشيقح، ص28

المدارس الموقوفة الكثير من الفقهاء والمفكرين، والأدباء والوعاظ والمصلحين الاجتماعيين، وكانت الأوقاف عونا لهم، ومددا في وقت عز فيه المال عندهم، وفي ظروف عصيبة من التاريخ كثرت فيها الفتن التي كان يموج بها العالم الإسلامي.

فعلى سبيل المثال يمكن التلويح الى مشاهير من العلماء الذين لعبت المدراس المار ذكرها بشيء من التفصيل عاليه دورا فاعلا فى تكوين شخصيتهم العلمية و الاجتماعية و الثقافية.

لقد كان من علماء المستنصرية أبو عبد الله الحصيني، وعز الدين الموصلي، ويعقوب الأنصاري الخزرجي من علماء اللغة العربية. ومن علماء الفقه ذو الفقار القرشي، وصفي الدين الأرموي البغدادي من الشافعية، وعماد الدين الباتني البغدادي، وعبدالعزيز الصنهاجي، وأبو عبد الله السبتي المغربي من المالكية، وابن القصاب البغدادي، ومصدق البغدادي، ومعاوية الموصلي من الحنابلة، وفخر الدين العراقي، وسيف الدين الطرازي، وابن البديع التكريتي من الحنفية.

واما من جامعة القرويين فقد تخرج العديد من علماء الغرب، وقد بقي الجامع والجامعة العلمية الملحقة به مركزا للنشاط الفكري والثقافي والديني و التى تزال تساهم بسخاء فى تخريج العلماء و قد درس فيها سيلفستر الثاني غربيرت دورياك الذي شغل منصب البابا من عام 999 إلى 1003م، ويقال أنه هو من أدخل بعد رجوعه إلى أوروبا الأعداد العربية .كما أن موسى بن ميمون الطبيب والفيلسوف اليهودي الشهير قضى فيها بضع سنوات قام خلالها بمزاولة التدريس. لقد درّس فيها الفقيه المالكي أبو عمران الفاسي وابن البنا المراكشي وابن العربي وابن رشيد السبتي وابن الحاج الفاسي وابن ميمون الغماري و زارها الشريف الإدريسي ومكث فيها مدة كما زارها ابن زهر مرات عديدة ودون النحوي ابن آجروم كتابه المعروف في النحو فيها. ولقد اشتهر من فاس جماعة من أهل العلم ونسبوا إليها منهم أبو عمرو عمران بن موسى الفاسي فقيه أهل القيروان في

وقفوأبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الشهير بابن البناء وهو أشهر رياضي في عصره، وأبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ الشهير بابن باجة وكان ممن نبغوا في علوم كثيرة منها اللغة العربية والطب وكان قد هاجر من الأندلس وتوفي بفاس. ومن العلماء الذين أقاموا بفاس ودرسوا بجامعتها ابن خلدون المؤرخ ومؤسس علم الاجتماع، ولسان الدين بن الخطيب، وابن عربي الحكيم وابن مرزوق .جامعة القرويين

و اما من العلماء الذين درسوا في النظامية فالإمام قطب الدين الشيرازي وهو أول من درس فيها، والإمام الغزالي ودرس بها أربع سنوات ما بين عام 484هـ / 1095 م. إلى 488هـ / 1099 م .والإمام الجويني، وأبو نصر الصباغ، وأبو القاسم الدبوسي، وأبو سعيد النيسابوري، والسهروردي، وابن البرهان، وأبو يعقوب الهمداني، وابن الجوزي، وأبو الحسن علي بن محمد الطبري الشهير بإلكياهراسي.

و اما فی یومنا هذا فان سنة الوقف لاتزال حية و سارية فی مختلف الاقطار الاسلامية و تبشر موسسات و فعاليات تطلق من قبل دول و جهات اسلامية بانطلاقة جديدة فی الوقف العلمی و من احسن النماذج هو ما تقوم به جامعة الملك عبدالعزيز. فحسبما توافينا به الجامعة ذاتها الوقف العلمي لدعم أبحاث جامعة الملك عبدالعزيز مؤسسة مالية غير حكومية وغير ربحية تم إنشاؤه بمبادرة من صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز (رحمه الله تعالى)، ويشرف عليه مجلس نظارة برئاسة سمو أمير منطقة مكة المكرمة وعضوية عدد من العلماء الأجلاء ومجموعة من رجال الأعمال وأهل الاختصاص، تنبثق عنه لجنة تنفيذية مخولة بتنفيذ رسالته وأهدافه، والتي حددت بما يلي:

1. تمويل الدراسات والأبحاث في المجالات التي نحن في أمس الحاجة إليها، والتي لا توجد مصادر مادية كافية أو متاحة لإنجازها.

2. إعداد وتخريج عدد من العلماء في التخصصات العلمية التي تحتاج إليها الأمة كفرض كفاية.

3. استحداث آليات ووسائل جديدة للتطوير والابتكار.

4. إقامة المباني التعليمية وتوفير الوسائل التعليمية الحديثة من أجهزة ومعامل بحثية ومعدات تقنية.

و الجامعة مومنة بان إنفاق الدولة والجامعة يتم بسخاء على البحث العلمي وإنشاء المراكز البحثية المتخصصة في الجامعة وإمدادها بما تحتاج إليه إلا أن المؤسسين للوقف العلمي عزموا على إنشائه للأسباب والمسوغات التالية :

1 - إتاحة الفرصة أمام الأفراد والمؤسسات والشركات الخاصة من أجل الحصول على شرف دعم نشر العلم والبحث العلمي والمشاركة في تقدم وطنهم وأمتهم على أسس علمية، ابتغاء مرضاة الله تعالى وحرصاً على حسن ثوابه في الآخرة، باعتبار أن هذا الوقف من الصدقة الجارية.

2 - تقوية إمكانات البحث العلمي المادية ومضاعفة أموال الدعم ، لتكون الأبحاث أكثر عمقاً واتساعا وشمولاً ، ولا شك في أن تعدد مصادر التمويل يؤدي إلى قوة العمل وجديته.

3 - ضمان مستقبل الأبحاث العلمية في جامعة الملك عبدالعزيز عن طريق إيجاد تمويل ذاتي ثابت ومستمر، بعيداً عن تقلبات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمالية ولضمان استمرار الأبحاث العلمية وديمومتها عن طريق أموال الوقف وإيراداته.[20]

مام يمكن استخلاصه من التدقيق و امعان النظر فى سير خريجى المدارس الوقفية ومما تعطينا بعض النصوص المتبقية من وثائق الوقف ان الوقف فى نظر السلف الصالح كان من شانه ان يحقق اهدافا سامية

---

[20] عشرة أسئلة حول الوقف العلمي لدعم أبحاث جامعة الملك عبد العزيز، مجلة الوقف العلمي لدعم أبحاث جامعة الملك عبد العزيز،

موقع الوقف العلمي لدعم أبحاث جامعة الملك عبد العزيز

تصب فى ما ينظر اليه الاسلام من غايات عالية و مصالح عليا و لقد اجاد الاستاذ الدكتور الصلابى فى تلخيصه لهذه الغايات بالشكل الآتى:

ان من أبرز الأهداف التي عملت المدارس على تحقيقها في بداية ظهورها تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، وذلك بأن يكون العبد يعبد ربًا واحدًا. وأن تستقيم وتنتظم حياة البشر ضمن هذه الغاية، ولا يُتوصَّل إلى المعرفة الحقة والعبودية الخالصة لله إلاّ بوجود دوائر تعمل على تحقيق هذه الغاية، ولذلك كانت المدرسة التي عملت وسعت لتحقق وتوضح هذا الهدف في نفوس طلابها, قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ[21]. و الأداء الأمثل للتكاليف الشرعية المختلفة هدف مهم ايضا ، وذلك لأن معالم الشريعة لا تكون واضحة ولا تُعرف أحكام الدين إلاّ عن طريق التعليم الإسلامي القويم، والتعليم الصحيح هو الطريق الأمثل للوصول إلى مُراد الشارع سبحانه وتعالى؛ إذ يقول في كتابه الكريم: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)[22]؛ إذ ان العبادات كافة التي شُرعت ما كانت إلاّ لعبادة الله سبحانه وتعالى, التي يترتب عليها الهداية والرحمة . ويترتب على الهدف السابق هدف آخر هو إعداد الإنسان الصالح بنفسه المصلح لغيره، ولذلك اعتبر هذا الهدف مهماً من وجهة نظر التعليم الإسلامي؛ فالتعليم الإسلامي يُعِدُّ الفرد لكي يكون آمراً بالمعروف معيناً عليه وعلى فعله، وناهياً عن المنكر داعياً إلى تركه بعد أن يكون هو نفسه قد امتثل هذا الأمر أو النهي . و كذلك توفير جو علمي امر غاية فى الاهمية، فان المدرسة الإسلامية تهدف إلى توفير جو علمي يساعد الأساتذة والمعلمين على أن يفكروا ويؤلفوا ويبتكروا؛ فيضيفوا كل جديد إلى العلوم المختلفة بصفة مستمرة . و من الاهداف العمل على توسيع الأفق الفكري لدى الطلاب، فالمدرسة لا تكتفي بتنمية الخبرات، بل تعمل على أن تكسب الطالب الخبرات الجديدة الناتجة عن

[21] الذاريات: 56

[22] النحل: 89

تجارب الأمم السابقة والمعاصرة وهذا ما يُسمّى عند علماء التربية الإسلامية «نقل التراث»، وهذا يكون من خلال إطلاع الطلبة على التراث الحضاري والفكري لدى الأمة، مما يؤدي إلى توسيع الأفق لديهم نتيجة لاطلاعهم على تلك الخبرات . و الجدير دائما بالانتباه اهمية إعداد الكوادر الفنية فالمدرسة تهدف من وراء تعليمها للطلبة إلى إعداد الكوادر الفنية المؤهلة لممارسة الأعمال المختلفة سواء في الجهاز الحكومي أو في غيره، خصوصاً أن الوظائف قد تشعبت وكثرت وتضخمت، ولذلك قامت المدرسة بتخريج الأفراد الذين عملوا على تحمل مسؤولياتهم في تلك الوظائف.[23]

اقتراحات

ان هناك امكانيات هائلة فيما يتصل بالوقف العلمى و لا ريب فى ان الاثار سوف تكون لامعة و موثرة جدا فى تنشيط الحياة العلمية و الثقافية و الاجتماعية فى عالمنا الاسلامى.

اننا ندرك بان موسسات حكومية و غير حكومية فى دول كالامارات المتحدة العربية قد بدات و منذ زمن تعبئة الطاقات لاسترعاء الاراء و الافكار الى اهمية الاهتمام بالوقف عموما و الوقف العلمى بشكل خاص و نحن فى هذا الاطار نحتاج الى

❖ موسسات تقوم بعملية التوعية فى مختلف الجوانب منها الجانب الفقهى و منها الجانب الخيرى و الانسانى و منها الجانب الاجتماعى و الحضارى

[23]- المدارس النظامية في عهد السلاجقة، د. علي محمد الصلابي، النوافذ، 11 ديسمبر 2007

❖ و توخيا لانشاء هذه الموسسات هناك حاجة الى تربية خبراء على مستوى عال من الخبرة و فى اعداد تفى بالمقصود.

❖ القيام بحملات اعلامية بناءة تستهدف الجهات المرتقبة فيها امكانية الاستثمار فى المجالات العلمية التى من شانها ان تخدم الناس و ترضى الرب- جل فى علاه-.

❖ التركيز فى ابحاث مستقلة على العثور على

➢ المناطق الجغرافية الاكثر احتياجا الى الاستثمار الوقفى

➢ الفروع العلمية المفتقرة الى العون

➢ الاساتذة و العلماء الذين قد يضيعون و تضيع على الامة خدماتهم لو لم يقدم اليهم العون

❖ التركيز على الجانب الفقهى-القانونى لاسيما فيما يرتبط بوثائق الوقف و العقود التى تنقل صلاحيات التصرف الى من يمثلون اصحاب الوقف فمثلا اذا زاد الريع عن المتوقع هل يجوز للوكيل و هو مثلا ادارة جامعة اروبية ان تنفق الزائد حسب رايها فى مصارف لا تمت بصلة الى مرامى الواقف الاصلية.

❖ انشاء وكالات متكونة من الخبراء المشار اليهم عاليه يتمتعون بتخصص اضافى و هو كيفية استخدام الوقف العلمى و ذلك عن طريق اختيار الافضل من المبانى و الاساتذة و الطلبة او موسسات موجودة و لكنها متعثرة و القيام بالتخصيصات المالية ثم الاشراف على الانفاقات و اخراج الوثائق المالية.

د/جواد الجوهرى
(جامعة آكسفورد بروكس-انكلترا)